

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السؤال الثالث:

هل إذا وصل المريد واتصل ونال فضل الله، تسقط عنه التكاليف الشرعية؟

الجواب:

هذه دعوى الزنادقة الذين يدعون أنهم من أقطاب الصوفية، فإنهم يضحكون على من حولهم، ويتركون الصلاة ويتركون الصيام، ويتركون العبادات الشرعية التي أمر بها الله، ويقولون لمن حولهم أنهم وصلوا إلى مقام المشاهدة، ومن وصل إلى المشاهدة فلا يحتاج إلى صلاة ولا صيام ولا غيرها. وكذبوا.

ولذلك قال الإمام أبو العزائم رحمته الله:

[من قال أني قد وصلتُ وترك الصلاة، فقل له: نعم قد وصلت، ولكن إلى سقر].

لأن الله قال عن أهل سقر في القرآن في سورة المدثر:

﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ (٤٢ المدثر).

فأول بندٍ قالوا:

﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾ (٤٣ المدثر).

ولو كانت الصلاة تُترك لشدة القرب والوصول من الله، لكان أولى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان في آخر حياته قام مستنداً رابطاً رأسه لشدة مرضه، ومستنداً بيدٍ على عمه العباس، وبيده الأخرى على الإمام عليّ بن أبي طالب، حتى وصل إلى المسجد ليؤدي الصلاة مع عباد الله المصلين المؤمنين، وكان آخر كلمته التي نطق بها في الدنيا:

(الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم).

[رواه أحمد وابن ماجه عن أم سلمة رضي الله عنها].

والله تبارك وتعالى أمرنا أن نحافظ عليها فقال:

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ (٢٣٨ البقرة).

ومن ذاق لذة القرب من الله في الصلاة، وفتحت له أبواب المناجاة في الصلاة، وعان المشاهد الإلهية التي يواجه بها الله الأفراد في الصلاة، لا يترك الصلاة طرفة عينٍ ولا أقل، بل يدخل في قول الله:

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ (٢٣ المعارج).

أي يديموا الصلاة باستمرار، ولذلك كان الصالحون منهم من يصلي في الليل مائة ركعة، منهم كالجنيد كان يُصلي في الليلة ثلاثمائة ركعة، ومنهم كالإمام السجاد، الإمام علي زين العابدين كان يُصلي كل ليلة ألف ركعة ويطيل فيها السجود.

ولما توفى الإمام الجنيد وانتقل إلى الرفيق الأعلى سأله أحد أصحابه في المنام إذ جاءه مناماً، فقال: كيف حالك؟ فقال - عما نحن فيه الآن - ضاعت تلك الإشارات، وتاهت تلك العبارات، ولم يعد إلا ركيعات كنا نركعها في السحر.

هي التي تبقى للإنسان لأن أقرب ما يكون الإنسان من ربه في حالة السجود:

﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (١٩ العلق).

وقال صلى الله عليه وسلم:

(أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد).

[رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه].

فإذا سجد يعني فني عن نفسه وعن أهوائه وحظوظه وشهوته، كان قريباً قرب القرابة من ربه ووُده ووجهه ووصله تبارك وتعالى.

فهؤلاء لا يتركون الصلاة طرفة عينٍ ولا أقل.

أنظر إلى الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وهو يصف صلاته فيقول:

أقيم صلاتي إن تجددت عن نفسي فأفنى بها عني به بمشهده القدسي

لديهـــــــــــــــــا يواجهني بوجهٍ مقدسٍ أكون أنا عرش التنزل والكرسي

عليّ يُصلي في صلاتي لأنني تشبهتُ بالمختار بالجسم والنفس

فالإنسان الذي يُصلي لله هذه الصلاة، يُصلي عليه مولاه كما قال في كتاب الله:

﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾
(٤٣ الأحزاب).

فكل من وقع في مرض الغرور أو داء الكبر وضحكت عليه نفسه، وترك الصلاة والصيام والأمر المشرعات، فقد ضلَّ وأضلَّ، وزلَّ وأزلَّ، وكل من تبعه كان معه في هذا الضلال المبين. نسأل الله أن نكون جميعاً قدوةً للمقربين، وأسوةً للمحبين، وأن نحافظ على الصلاة في وقتها كما أمر رب العالمين، وأن لا نغفل على ذكر الله وطاعة الله في كل وقتٍ وحين، حتى نكون من الذين قال فيهم:

﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦١ الزمر).

وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم